

مفتطات

من سيرة العلامة ابن عثيمين

رحمه الله

كتبه

فهد بن عبدالعزيز بن عبد الله الشويرخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد : فسير الأعلام وعلى رأسهم العلماء, فيها الكثير من الفوائد والعبر والدروس, وكان بعض السلف يرون أن القراءة في سير العلماء مما يستجلب لين القلب ورقته, فحري بالمسلم أن يقرأ في سيرهم ففيها خير كثير.

وسيرة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله, حافلة, وهناك جوانب من سيرة الشيخ ذكرها الشيخ عن نفسه - وإن لم يقصد بها الحديث عن نفسه - ماثورة في كتبه ومصنفاته, وهي وإن كانت قليلة إلا أنَّ فيها فوائد, يسر الله الكريم لي جمعها, أسأله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها في الدنيا والآخرة, إنه جواد كريم.

تعظيم النصوص الشرعية

من أهم ما يُميِّزُ العلماءَ أنهم يعظمون النصوصَ الشرعية، فلا يقدمون عليها عقلاً، ولا رأياً، ولا ذوقاً، ولا هوى، والعلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله كان من أولئك العلماء، الذين يُعظمون النصوص، ويربي تلاميذه على ذلك، بل ويُطلب منهم أن لا يأخذوا بقوله متى ما خالف النص، مستنأً في ذلك بمن سبقوه من العلماء الأئمة، قال الشيخ رحمه الله في درو: [٣٨٧/١٣]: وإني بهذه المناسبة أودُّ أن أقول لكم: إنَّ قولي وقول غيري من أهل العلم إذا خالف النص، فلا عبرة به، ويجب أن يوضع تحت الحذاء، لأنه لا قول لأحد بعد قول الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولقد قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فيما روي عنه: يُوشكُ أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر. وإذا كان قول ابن عباس رضي الله عنهما فيمن عارض قول الرسول بقول أبي بكر وعمر، فما بالك بمن عارض قول الرسول بقول من دونهما بمراحل، من هو في الثرى وهو في الثريا، فلا يمكن أن يُعارض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أحد، فمتى رأيتم من كلامي أو كلام غيري من العلماء ما يخالف النصَّ، فاطرحوه وخذُّوا بالنصِّ ولا تقولوا قال فلان وقال فلان الذي يُعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم

ومن أمثلة تعظيم الشيخ للنصوص، قوله رحمه الله في [تصب: ٣٧٤/٥]: وأما قول شيخ الإسلام رحمه الله: إن المتمتع يكفيه سعي واحد: السعي الأول، فقول ضعيف غير سديد، لأن حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما صريح في هذا، والمعنى يقتضي ذلك، لأن العمرة منفردة عن الحج تماماً، وبينهما حل كامل، وما دام النص والقياس يدل على وجوب السعي في الحج، فلا عبرة بقول أحد كائناً من كان.

رجوع الشيخ عما كان يفعله بعد ما تبين له أن الصواب بخلافه

الإنسان قد يظهر له صواب قول فيأخذ به, ثم يتبين له أنه أن ذلك القول غير صحيح, فيتعين عليه الرجوع عنه, وهذا ما فعله الشيخ رحمه الله, قال في [فتح: ٣٥٦/١٢]: العجيب أن شيخ الإسلام رحمه الله, قال: ينبغي لمن قصد الجمعة أن يتصدق, لأنه إذا كانت الصدقة مشروعة بين يدي مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فبين يدي مناجاة الله من باب أولى لكن هذه المقالة فيها نظر لأننا نقول: أين الحكم في وقت الرسول عليه الصلاة والسلام وفي وقت الصحابة فإننا لا نعلم أنهم كانوا يتعمدون الصدقة بين يدي الصلاة لا الجمعة ولا غيرها ولم يأت ما يدل على ذلك... وكنت أعمل بذلك أولاً, فإذا خرجت إلى الجمعة خرجت بما تيسر, ولكني رأيت الأمر, بخلاف ذلك, لأن شيئاً وجد سببه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام, ولم يقم بفعله فالسنة تركه, لكن الصدقة على عمومها مستحبة.

أمانى الشيخ

الموفق من كانت أمانيه في طاعة الله تعالى, وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم, وكلما عظمت همة الإنسان عظمت أمانيه, فكانت فيما ينفعه في دنياه وآخرته, والشيخ رحمه الله كان له أمانى ذكرها في بعض مصنفاته, منها:

وجود كتاب له مثل كتاب رياض الصالحين للإمام النووي

قال الشيخ رحمه الله في [باب: ٤٦٣/٢]: الآن كتاب رياض الصالحين يُقرأ في كلِّ مجلس, ويُقرأ في كلِّ مسجد, وينتفع الناس به انتفاعاً عظيماً, وأتمنى أن يجعل الله لي كتاباً مثل هذا الكتاب, كُلُّ ينتفع به في بيته وفي مسجده.

وجود كتب لدى الحنابلة لتخريج أحاديث الكتب المتداولة لديهم

قال الشيخ رحمه الله في [بم:١٦]: كتب تخريج الأحاديث..من أحسن ما رأيت كتاب " التلخيص الحبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير " الذي ألفه الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي...رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.
وكنت أتمنى لو كان لأصحابنا أهل المذهب الحنبلي كتاب كهذا يُخرِّج أحاديث الكتب المتداولة من كُتُب الحنابلة, مثل : " الروض المربع شرح زاد المستقنع " أو " شرح المنتهى " أو " شرح الإقناع "

للفائدة : للشيخ رحمه الله, كتاب بعنوان : البيان الممتع في تخريج أحاديث الروض المربع " طُبع عام ١٤٣٧هـ, ذكر الشيخ في خاتمه أنه تم تسويده في ١٧/٧/١٣٨٥هـ, ثم مُراجعة في ١٤/٧/١٣٩٣هـ

معرفة اللغة الإنجليزية للدعوة إلى الله عز وجل

قال الشيخ رحمه الله في [باب:٣/٤٢٣]: اللغة الإنكليزية...أنا أتمنى أني أعرف هذه اللغة لأني وجدت فيها مصلحةً كبيرةً, يأتي رجل ليسلم بين يديك, فلا تستطيع أن تتفاهم معه, وترى مسلماً يُخلُّ في أشياء من واجبات الدين في الصلاة أو في الصوم أو الزكاة أو في الحج, أو في غير ذلك فلا تستطيع أن تتكلم معه.

تنقيح كتب السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين مما يوجد فيها من آثار ضعيفة

قال الشيخ رحمه الله في [باب:٣/٤١٠]: السيرة النبوية الواقع أن فيها أشياء ضعيفة مما نُقل, وفيها أشياء صحيحة....وإنني أتمنى أن يوجد طالب علم يحرص على هذه المسألة, ويُنقح السيرة النبوية, وسيرة الخلفاء الراشدين, مما شابها من الآثار الضعيفة, أو المكذوبة.

تواضع الشيخ

التواضع صفة حميدة، وخلق كريم، يزيد المرء عزّة ورفعةً، والشيخ رحمه الله كان متواضعاً،
والأمثلة على ذلك كثيرة :

* قال الشيخ رحمه الله في [باب: ٣/٥٥٥] : إذا سمعتم عني ما تستكرونه فراجعوني، قد
أكون مخطئاً، فيهديني الله على أيديكم، وربما نُقل عني خطأ، فأبَيّن أنه خطأ، وقد يكون
صواباً فأبَيّن أنه صواب.

* قال الشيخ رحمه الله في [درو: ١٨/٢٢٨] : هذا الأخ السائل أشكره على هذا السؤال،
وأرجو أن يكون السائلون صريحين كهذا الرجل، يعني كون الإنسان مثلاً يستنكر مني أو
من غيري شيئاً، ولا سيماء الشيء العام، ويخاطبه بالسؤال عن السبب، هذا طيب، وأنا
لست بمعصوم، فقد أُخطئُ فينبهني بعض الناس على خطئي.

فهذه وجهة النظر حيثُ عدلت إلى قولي : صلى الله عليه وعلى آله وسلم

* سئل الشيخ : هل لكم ملحوظات على كتاب " مدارج السالكين " لابن القيم ؟
فأجاب رحمه الله في [باب: ٦/٣٢٢] : ابن القيم رحمه الله أكبر من أن يكون لي وأمثالي
ملحوظات عليه، وإن كان غير معصوم.

* سئل الشيخ : إمام وخطيب جمعة، لا يصلي الفجر مع الجماعة إلا نادراً، ذهبنا إليه،
وكلمناه، ونصحناه، فقال : لا أقبل قولكم فهي ليست واجبه - يقصد صلاة الجماعة -
ثم قال : لا أقتنع إلا بقول ابن عثيمين ؟ فأجاب رحمه الله في [باب: ٣/٧٤] : قُلْ له : يسلم
عليك ابن عثيمين، ويقول لك : صلاة الجماعة واجبه، أوجبها الله سبحانه وتعالى - ثم
ذكر الشيخ الأدلة - وقال : قُلْ له أيضاً : يُوصيك ابن عثيمين بتقوى الله عز وجل.

* وسُئِلَ رحمه الله : لدي جار عنده أسرة كبيرة، وعنده عامل يعمل داخل البيت، وعند
مناصحته يحتج بأنه لا يستطيع إحضار خادمه، خوفاً عليها من الأولاد، وأخيراً طلب

مني أن أسالك..وقال :سوف أخذ بفتوى الشيخ ابن عثيمين فأجاب رحمه الله في [باب:٤٤٠/٧] : قل لسائلك هذا, إنه يسلم عليك, ويقول : جزاك الله خيراً, يأتي بخادمة مسلمة للبيت ومعها محرّمها ليعمل في السوق.

*قال الشيخ رحمه الله في [تصب:٤٢/١٣] : فإن قال قائل : ...نرى بعض العلماء مع قلة ذات اليد ومع ذلك ينتفع الناس بهم, فهل هذا الانتفاع بما لديهم من علم سببه صلة الرحم ؟ فالجواب : لا شك في هذا, لكن هذا يعود إلى إخلاص النية والتعب, وإلى ما أعدهم الله تعالى له وهبّأهم الله تعالى له من قوة الحفظ والفهم وكثرة العلم, أما نحن فالحفظ قليل, والعلم قليل, والفهم قليل.

* قال الشيخ رحمه الله في [باب:١٧٥/٢] : فهذا هو اللقاء الأول من شهر صفر عام (١٤١٤ هـ) وهو اللقاء الأسبوعي الذي نعقده يوم الخميس من كل أسبوع, ونظراً لتأخرنا هذا اليوم, فإننا نرجو منكم المعذرة أولاً, ثم السماح بعدم الكلمة التي تكون مُقدّمة للأسئلة, من أجل أن نستوعب أسئلة الحاضرين إن شاء الله تعالى.

قبول الشيخ للنصيحة وشكر الناصح

* قال الشيخ رحمه الله في [فتا:٢/٢٨٧] من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ حفظه الله تعالى وجعله من عباده الصالحين وأوليائه المؤمنين المتقين وحزبه المفلحين آمين..وبعد فقد وصلني كتابكم الذي تضمن السلام والنصيحة.

فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته, وجزاكم الله عني على نصيحتكم البالغة التي الله تعالى أن ينفعني بها...ولا ريب أن الطريقة التي سلكتموها في النصيحة هي الطريقة المثلى للتناصح بين الإخوان, فإن الإنسان محل الخطأ والنسيان, والمؤمن مرآة أخيه, ولا يؤمن أحد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ولقد بلغت نصيحتكم مني مبلغاً كبيراً بما تضمنته من العبارات الواعظة والدعوات الصادقة, أسأل الله أن يتقبلها, وأن يكتب لكم مثلها.

* قال الشيخ رحمه الله في [فتا:١/١٨٣]: من محمد العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ...حفظه الله...السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد : ففي هذا اليوم وصل إلى كتابكم, وقد فهمت ما فيه وقد تضمن ملاحظة فضيلتكم على كلامي.....

وإني لأشكر فضيلتكم على ما أتختموني به من كلام شيخ الإسلام في نقضه كلام الرازي, فنعم التحفة, ونعم من أتحف بها أصلاً ونقلاً..نسال الله تعالى الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

* قال الشيخ رحمه الله في [فطص:١٠٩٤]: من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد :

كتابكم المؤرخ في ٢/١٠/١٣٩٨هـ ورديفه المؤرخ في ٦ منه قرأتها كليهما, وفهمت ما فيها, وإني لأشكر أخي على ما أبداه من النصح ومحبة الخير.

ورع الشيخ

قال الشيخ رحمه الله في [فتح: ٤٦٦/١٥]: وعن أبي هريرة رضي الله عنه, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال: سبحان الله وبحمده, مائة مرة حُطت خطاياها, وإن كانت مثل زبد البحر) [متفق عليه] قال أهل العلم: وينبغي أن يقول هذا الذكر في آخر اليوم, ولولا أنني أخشى أن ابتدع لقلت: يقولها: إذا آوى إلى فراشه, لأن عند النوم هو آخر عمله اليوم.

عفو الشيخ وصفحه

عفو الإنسان عمن أساء إليه يدل على علو مرتبته, ورغبته في الأجر والثواب من الله الكريم, كما يدل على سلامة صدره لإخوانه المسلمين, وقد أساء بعض الناس للشيخ رحمه الله, ثم ندموا على ذلك, وطلبوا منه العفو عنهم فعفا عنهم.

*سئل الشيخ رحمه الله: كنتُ أسبُكُ بعدم معرفتك, فالآن قد عرفتُ أنك إنسان صالح, ولا أُرْكِي على الله أحداً, فأرجوك أن تُسامحني. فأجاب الشيخ رحمه الله في [درو: ٦٥٦/١٨]

: (إن الحسنات يُذهبن السيئات [هود: ١١٤])

*وسئل الشيخ: أولاً: إنني أُحِبُّكم في الله, وأطلب من فضيلتكم مُسامحتي والدعاء بالمغفرة والتوفيق, لأنني قد اغتبتك في عدة مجالس, والآن أنا أتوب إلى الله فسامحني.

فأجاب الشيخ رحمه الله في [درو: ٦٤٩/١٨]: ونَحْنُ نَحِبُّ من أحبنا في الله, ونسأل الله أن يُجِبَّهُ كما أحبنا فيه, أما في شأن الغيبة, فإن كان هذا الرجل أو غيره من الناس, اغتابني تديناً, بأن رأى أنني أخطأتُ في أمرٍ, واغتابني لذلك, فهذا على كل حال معفو عنه, وأما إذا كان اغتابني بدون تثبيتٍ فأقول: عفا الله عنه, وأرجو العفو من الله, وأسأل الله تعالى أن يعاملني وإياه بعفوه, وهو مَيِّ في حلِّ.

عدم الكلام في الأشخاص

عفة اللسان, وعدم إضاعة الأوقات وإهدار الطاقات في الكلام في الناس وتصنيفهم, منهج لمن أنار الله تعالى بصيرته, فابتعد عن ما يجلب له العداوة والبغضاء, والشيخ رحمه الله كان لا يسمح في مجالسه بالحديث في الناس.

سئل رحمه الله أن يبدي ما يعلمه عن أحد المشايخ, فأجاب في [باب: ٣/٥٠٦]: ليس من شأننا في هذا اللقاء أن نتحدث عن شخص بعينه... وهذه القاعدة, أي: إننا لا نتكلم عن الأشخاص بأعيانهم, لا في مجالسنا في مقام التدريس, ولا في اللقاءات, ولا فيما يورد إلينا من أسئلة... هذه القاعدة نحن ماشون عليها, ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا عليها, لأن الكلام في الأشخاص بعينه قد يثير تحزبات وتعصبات.

و عندما ذُكِرَ للشيخ رأي أحد العلماء في مسألة, قال الشيخ رحمه الله في [باب: ٧/٣٤٢]: نحن لا نسمح لأيٍّ أحدٍ أن يذكر لنا شخصاً مُعيناً من العلماء, وإنما لك أن تقول: قال بعض العلماء, أما فلان وفلان فلا تذكروه عندنا أبداً, لا تُريدُ هذا.

عدم النوم سريعاً اهتماماً بأوضاع المسلمين

قال الشيخ رحمه الله في [باب: ٣/١٨٥]: ما يُفعلُ بالمسلمين اليوم في البوسنة أمر يُفطرُّ الأكباد في الواقع... والله إن الإنسان أحياناً لا ينام سريعاً كما ينام في العادة إذا تذكر هؤلاء الإخوان المحصورين على يد هؤلاء الصرب المعتدين الظالمين.

تشجيع الشيخ للباحثين

سئل الشيخ رحمه الله كتابةً فقال السائل: لقد بحثت مسألة الأضحية عن الأموات وقد اتضح لي من هذا البحث..... فكان مما أجابه به الشيخ رحمه الله في [فصح: ٢/٢٤٥]: وقد قرأتُ ما كتبتهُ أنت أعلاه فأعجبني ورأيتهُ صحيحاً, وفق الجميع للعمل بما يرضيه.

صبر الشيخ على ما يقول الناس فيه

قال الشيخ رحمه الله في [فطرص: ١٠٩٥] : وأما ما ذكرت من اعتراض بعض الناس عليّ فيإني أسأل الله تعالى أن يرزقني الصبر على ما يقولون, وأن يرزقني وإياكم الثبات على الحق, ويجعلنا ممن لا تأخذه في الله لومة لائم, وأن يبعدنا عن طريق من إذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله.

كتب الشيخ التي تم الرجوع إليها :

دروس وفتاوى من الحرمين الشريفين
فتح ذي الإجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام
لقاءات الباب المفتوح
البيان الممتع في تخريج أحاديث الروض المربع
التعليق على صحيح البخاري
مجموع فتاوى ورسائل الشيخ
فتاوى في الطهارة والصلاة
فتاوى في الصلاة والجنائز

كتبه / فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويخ